كلية العلوم الإسلامية/ قسم الحديث وعلومه

اسم المحاضر: أ. م. د ثامر عبدالله داود

المرحلة: الأولى

اسم المادة بالإنكليزي: Hadith notation

اسم المادة بالعربي: تدوين الحديث.

مصدر او مصادر المحاضرة: البحر المحيط للزركلي، ودراسات في الحديث النبوي، وتاريخ ابن خلدون، ومصادر الشعر الجاهلي ، وتاريخ ابن خلدون، وصحيح البخاري، وإحكام الأحكام، والشفا للقاضي عياض، وحضارة العرب، وتاريخ الإسلام للذهبي .

المحاضرة الثانية: الظروف الخارجية المتصلة والمحيطة بالتصنيف:

عند دراسة موضوع التصنيف لا بد من مراعاة الظروف الخارجية المتصلة والمحيطة بالتصنيف، وهي ظروف المجتمع العربي عموماً، والمجتمع الإسلامي في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة على وجه الخصوص، وتتمثل هذه الظروف فيما يلي:

١- إن العرب أمة أمية لا تعرف العلوم التي تشتغل بها الأمم الأخرى كعلم المنطق، والفلسفة، والرياضيات، والطب....الخ، وإنما الفن الذي برعوا فيه وبلغوا فيه الذروة هو فن (البيان)، وعلم (اللسان)، شعراً، ونثراً، حتى بلغ بهم الشأن أن يعقدوا مؤتمرات أدبية سنوية في أسواقهم المشهورة كسوق (عكاظ)، و(ذي الحجاز) يتبارى فيها الشعراء والخطباء من كل القبائل، أيهم أحسن شعراً، وأبلغ خطبة، فتطورت الفنون الأدبية (اللسانية) تطوراً عظيماً، وصارت الفصاحة، والبلاغة، والإيجاز، وحسن التصوير اللفظي ودقته الفن الوحيد

الذي فتن فيه العرب غاية الافتنان، حتى قرضوا ونظموا من الشعر ما لم تقرضه أمم الأرض قاطبة.

ولهذا جاء (القرآن) متحديا إياهم في هذا (الفن) الذي برعوا فيه ألا وهو البيان الذي بهرهم به (أسلوب القرآن) الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلما عجزوا علموا أنه حق وصدق وأنه فوق طاقة أدبائهم وشعرائهم [١] .

وبسبب عنايتهم الفائقة (بالبيان) كانوا من أقدر الأمم على التعبير عما في نفوسهم بأوجز عبارة ، وأوضح لفظ ، وأقدرها على فهم الكلام ومقاصده .

وبسبب هذه الأمة وخلو أذهانهم من العلوم والمعارف التي كانت عند الأمم الأخرى كانوا مهيئين لتلقي (القرآن) و (السنة) والتشريعات التي جاء بها الرسول والاشتغال بها والعناية بحفظها وفهمها ، إذ ليس هناك علوم طبيعية أو عقلية تأخذ من جهدهم ووقتهم تزاحم القرآن والسنة ، ولهذا كان كل نشاطهم العلمي الوحيد في حفظهما وفهم معانيهما

٢- ولأن العرب أمة أمية يقل فيها الكتاب والقراء فقد صار الحفظ والاعتماد على الذاكرة الوسيلة الرئيسة في حفظ تراثهم التاريخي والأدبي ، فصاروا يحفظون أنسابهم وتاريخهم وأشعارهم وحكمهم عن ظهر قلب ، ويتبارون في هذه المهارة ، أيهم أكثر حفظا لهذا التراث وأجود ضبطا ، وكان الشاعر العربي إذا نظم قصيدة أخذ يرددها في المحافل ، ثم لا يلبث قليلا حتى يحفظها عنه العشرات ويرددونها حتى يحفظها

---

(٢) انظر: البحر المحيط للزركلي ١/٤٤٤-٤٤٦.

عنهم المئات ، وهكذا حتى تنتشر بين قبائل الجزيرة العربية وتصبح محفوظة في صدور مئات الرجال لا يكاد يقع بينهم اختلاف كبير في روايتها ، وقد استمرت هذه الطريقة إلى عصرنا الحاضر بين قبائل الجزيرة العربية .

٣- ولم تكن الرواية طريقة مبتكرة بعد عصر الصحابة ، بل هي أشهر وسيلة تعليمية وإعلامية عند العرب في الجاهلية، فكان لكل شاعر عربي راوية يلازمه ، ويحفظ كل أشعاره ، ويتعلم منه ، فإذا نظم الشاعر قصيدة – وقد تزيد أحيانا على مائة بيت – أخذ يرددها على مسامع راويته وتلميذه حتى يتأكد منه أنه حفظها بإتقان ليرويها عنه في المحافل العربية . [٢]

٤ – كما أن من أخلاق العرب قبل الإسلام الصدق في الحديث ، والأمانة ، والوفاء بالعهد، وكانوا يعظمون هذه الصفات الأخلاقية تعظيما شديدا ، ولهذا لم يستطع أبو سفيان بن حرب أن يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم عند (هرقل) – عندما ذهب في تجارته للشام سنة ١ هـ – قبل أن يسلم – وسأله (هرقل) عن أخبار الرسول له ، وإلى ما يدعو الناس ، فأجابه أبو سفيان بالصدق ولم يستطع أن يكذب خوف العار والفضيحة حيث قال : (والله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبة لكذبت عليه) [٣] فمع شدة عداوة أبي سفيان للرسول إلا أنه لم يكذب عليه عند ملك الروم حياء وخوفا من العرب .

---

(١) وهذا كله لا ينفي معرفة العرب قبل الإسلام بالكتابة وتدوينهم بعض تراثهم ، انظر : دراسات في الحديث النبوي ١/٤٣) ، وتاريخ ابن خلدون ١/ ٤١٨، ومصادر الشعر الجاهلي (٦٦) .

(١) رواه البخاري في صحيحه حديث رقم (٩٥) و (٩٢٩٩) ، وانظر : إحكام الأحكام ١/١٣٩.

٥ – أن الرسول محمد كان من قريش ، وهي أفصح القبائل العربية وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو أفصحها لسانا ، وأوضحها بيانا ، وهذا ما ساعد على سهولة حفظ كلامه ، لوضوحه وجماله ، والعرب يسحرهم الأسلوب الجميل . [٤]

---

(١) انظر : الشفا للقاضي عياض اليحصبى ٧٠ /١، وتاريخ ابن خلدون ٤٣٨/١ و /٥٤٦، وحضارة العرب (٩٣٩) فصل (اللغة العربية)، و تاريخ الإسلام للذهبي ، قسم السيرة النبوية (٤٦٣).